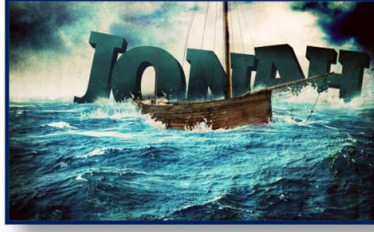


أنبياء إسرائيل
النبوة وصياغة المجتمع المعاصر

سفر يونا

الدكتور القس مكرم نجيب

يونان ومقاومة الدعوة



استمد السفر اسمه من الشخصية الرئيسية. والاسم فى العبرية Yonah والكلمة تعنى "حمامة". وفى السبعينية Ionas. وفى الفولجاتا Jonas. وهو خامس الأسفار بين قائمة الأنبياء الاثنى عشر، وهو لا يتكون من مجموعة أقوال نبوية بل عبارة عن قصة النبى يونان وإرسالته.

والسفر يحكى كيف وجد النبى يونان تعاطف الله مع أهل نينوى الوثنيين غريباً وكثيراً عليه. وعندما صدر إليه الأمر الالهى بالذهاب إلى نينوى ليبشروهم فیتوبوا عن خطاياهم العظيمة، رفض وتمرد وهرب حزيناً. على عكس شخص الله الذى يريد الكل يخلصون، والذى تغمر مراحمه جميع الشعوب والأجناس والأمم.

التقسيم

- ١ - يونان يهرب من دعوته ص ١
- ٢ - مزبور من بطن الحوت ص ٢
- ٣ - الإرسالية الناجحة للنبى الراض ص ٣
- ٤ - الله يحاول أن يغير يونان ص ٤

وهناك تقسيم آخر قدمه ماريانو ديغانجي Mariano Digangi * كالتالى:

١- التكليف	(١ : ٢١)
٢- المقاومة	(١ : ٣ - ١٧)
٣- الاعتراف	(٢ : ١ - ١٠) :
الخطر	(٢ : ١ - ٦)
الإيقاظ	(٢ : ٦ - ١٠)
٤- التجديد	(٣ : ١ - ١٠) :
الإعلان	(٣ : ١ - ٤)
التجاوب	(٣ : ٥ - ٩)
الغفران	(٣ : ١٠)
٥- التعاطف والتراحم	(٤ : ١ - ١٠) :
الشكوى	(٤ : ١ - ٣)
التصحيح	(٤ : ٤)
إعادة الشكوى	(٤ : ٥ - ٩)
إعادة التصحيح	(٤ : ١٠)

الكاتب والكتابة

ولاشك أن هذا السفر يحكى قصة واحدة مفردة تعكس الإحساس بالوحدة الأدبية، واليد الواحدة التى كتبت. ولكن هذا الكاتب غير معروف، إذ أن السفر لا يحوى نبوات يونان النبى بل هو قصة إرسالية النبى كما ذكرنا، ماعدا كلمات قليلة تعبر عن رسالة النبى فى (٣ : ٤) "...ونادى وقال بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى". ومن الإشارة إلى اسم النبى التى جاءت فى (٢ مل ١٤ : ٢٥) نرى أن النبى كان فى حكم يربعام الثانى (٧٨٦ - ٧٤٦ ق.م.).

* Mariano Digangi. Twelve Prophetic Voices. P. 56.

ولكن لا توجد أية إشارة إلى تاريخ كتابة السفر المكتوب عنه. لكن التاريخ يمكن أن يقترح بالنظر إلى طبيعة المفردات، والأسلوب اللغوي، وبوضع القرنية التاريخية في الاعتبار. ويظهر في اللغة بوضوح التأثير الأرامي الذي يحدد الزمن أنه في فترة ما بعد السبي. كما أن تعبير "إله السماء" في (١ : ٩) يؤكد فترة ما بعد السبي أيضاً. ورسالة السفر تعبر عن فترة كان التفكير اليهودي في منعطف خطير، بالافتناع بأن الله اختارهم وينسب لهم وحدهم. وهو يرفض الأمم. ويقول "Thoburn" "ثوبرن" أن هذه الاعترافات تقودنا إلى الاعتقاد بأن سفر يونان كُتب ما بين ٤٠٠ و ٢٠٠ ق.م. أو حوالي ٣٠٠ ق.م.

شخصية يونان

من الإشارة التي سبق التنويه عنها في (٢ملوك ١٤ : ٢٥) "هورد تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة حسب كلام الرب إله إسرائيل الذي تكلم به عن عبده يونان بن أمتاي النبي الذي من جت حافر"، نرى أن يونان النبي تنبأ في أيام يربعام الثاني (٧٨٦ - ٧٤٦ ق.م). وهو من جت حافر في زبولون بقرب طبرية بعد أن غزاها يشوع (يشوع ١٩ : ١٠ - ١٣)، وبلدته هذه تقع في الجليل بالقرب من الناصرة، ويقال أن اسمها الحالي (المشهد)، وبها قبر يقولون إنه قبر النبي يونان.

* وإذا كان اسم يونان يعني "حمامة" فاسم أبيه "أمتاي" يعني "الحق" ويقول التقليد اليهودي أن أرملة صرفة التي كانت تقش العيدان لتعمل كعكة لها ولولدها هي أم يونان. وقد قامت الأم المؤمنة وعالت النبي العظيم إيليا. ويقول التقليد أن إيليا النبي دعا الولد "ابن الحق" (١ملوك ١٧ : ٨ - ٢٤).

وقد تحدث المسيح عن يونان، وقارن نفسه به، فكما قضى يونان ثلاثة أيام في جوف الحوت، قضى المسيح ثلاثة أيام في جوف القبر. ولكن الفرق

* منيس عبد النور - د.القس. دراسة في سفر يونان.

بينهما هو أن نينوى آمنت بوعظ يونان، ولكن اليهود كفروا برسالة المسيح (متى ١٢ : ٣٩ - ٤١، لوقا ١١ : ٢٩ - ٣٢).

وشخصية يونان شخصية المتناقضات : هو نبي الله لكنه يهرب من الله، غرق في جوف الحوت لكنه بقى حياً، يعظ عن التوبة لكنه يتضايق عندما يتوب الناس.

وحول شخصيته تدور أحداث السفر جمعاء. فيبدأ الأصحاح الأول بالأمر الصادر من الله إلى يونان "وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاي قائلاً : قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد سعد شرهم أمامي" (يونان ١ : ٢١). ثم يتعثر النبي ويصدم أمام فكرة المناداة بتوبة نينوى المدينة الوثنية، إذ كيف ينظر الله إلى هذه الشعوب. ومن هنا يهرب النبي إلى ترشيش عن طريق سفينة وجدها في يافا. وفي عرض البحر أرسل الرب ريحاً شديدة فحدث نوء عظيم، بعدها دخل الرجال الذين على ظهر السفينة في حوار مع يونان انتهى بإلقائه في جوف البحر ليلتقطه حوت عظيم أعده الرب "فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال" (يونان ١ : ١٧). وفي جوف الحوت يصلى يونان فيقذفه الحوت بأمر الرب إلى البر (يونان ٢ : ١٠).

وفي الأصحاح الثالث يكرر الرب أمره إلى النبي بالذهاب إلى نينوى للمناداة لها بالتوبة، فذهب وسمعت المدينة صوت الرب على فمه فتذللوا أمام الرب. "فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه" (يونان ٣ : ١٠).



ويسمع النبي توبة نينوى فيغتم ويغتاظ ويصلى إلى الله أن يأخذ نفسه، ثم يخرج ليجلس خارج المدينة. وفي رفق وحب يتدخل الله لتطوير فكر نبيه بطريقة رائعة فريدة عن طريق إعداد اليقطينة

والدودة والريح مخاطباً إياه " .. أنت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا رببتها التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهانم كثيرة" (يونان ٤ : ١٠ و ١١).

نينوى



نينوى عاصمة مملكة آشور، وهي بلاد العراق الآن. أسسها نمرود بعد الطوفان (تكوين ١٠ : ١١ و ١٢) وتقع شمال نهر الفرات. واليوم توجد مدينة الموصل بالعراق مقابل نينوى القديمة. كانت نينوى مدينة عظيمة جداً، لها سور عظيم ارتفاعه أكثر من ٣٠ متراً وحولها ١٥٠٠ برج حراسة، يرتفع كل برج منها أكثر من سبعين متراً. ويقولون أن سورها كان عريضاً جداً بحيث يسع أربع عربات تسير عليه متجاورة.

وكانت ترشيش في بلاد أسبانيا في الغرب الأقصى. وقد حطمت نينوى مملكة إسرائيل، ثم حاربت مملكة يهوذا. لقد كانت مدينة قتل وحرب، جنودها قساة، وشعبها مثل الوحوش. ولهذا سعد شرهم أمام الرب مثل الدخان. كان وهذا عاملاً آخر في ازدياد سخط يونان وضيقة عندما سمع قول الرب بالذهاب إليها للتوبة. فكيف يعظ أعداءه برسالة رحمة الله ومحبه؟!..

لقد كان يونان يعلم رحمة الله، وأنه سيرحم المدينة إذا تابته، وهو لا يريد رحمة لها. لقد كان اليهود قديماً يقولون أن السماء تفرح بخاطئ واحد يهلك حتى تستريح الأرض من شره.

المزمور

يتساءل كثيرون من علماء الكتاب حول صلاة يونان في جوف الحوت المدونة في الإصحاح الثاني من سفره (٢ : ٣ - ٩) هل هي ضمن النص الأصلي للسفر أم أنها إضافة إليه؟.

ويقول "ثوبرن" Thoburn أنك لو نزعنا هذه الصلاة لما تغير مجرى الحديث أو مسار الفكر في القصة على الإطلاق مثل : "وأما الرب فأعد حوتاً عظيماً ليلتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. وأمر الرب الحوت فقفذ يونان إلى البر". (١ : ١٧ ، ٢ : ١٠). كما أنك لو درست هذه الصلاة التي هي عبارة عن مزمور - لأنها مشبعة تماماً بروح وكلمات المزامير - لاقترحنا أنها مستخدمة في خدمة شكر في الهيكل بمناسبة إنقاذ من موت أو من غرق على وجه التحديد. وهذا يبدو من عبارة "جوف الهاوية" في (٢ : ٣). ولهذا يقول "أوتو أيسفيلدت" Otto "Eissfeldt" هذا الجزء ينبغي أن يكون : "أغنية شكر". ولكن قد تكون العبارة "تياراتك ولججك" في (٢ : ٣) عبارة مجازية كما هو الحال في (مزمور ٤٢ : ٧). " ... كل تياراتك ولججك طمت على".

كما أنه لا توجد في المزمور أية إشارة على الإطلاق عن الحوت. وقد يكون الكاتب الذي كتب قصته بالنتج أراد أن يتمتع سامعيه بمزمور مشهور ليضيف على القصة مشاعر الاتضاع والاحتياج إلى معونة الرب. ويتساءل "أوتو أيسفيلدت" هل هذا المزمور أقدم أم أحدث تاريخياً من نفس السفر. ثم يجيب على تساؤله بأنه أقدم بلا شك.

ثم ينتقل نفس المؤلف السابق الذكر إلى أمر آخر ويتفق مع "ونكلر" Winckler " بأن العدد الخامس في الإصحاح الرابع من السفر تحرك من مكانه الأصلي بعد العدد الرابع من الإصحاح الثالث. كما أن النصف الثاني من (٤ : ٥) " ... صنع نفسه هناك مظلة وجلس تحتها في الظل... "

إضافة أيضاً. بجانب بعض الإضافات الأخرى مثل عبارة "بسبب من هذه المصيبة علينا" فى (١ : ٨) وعبارة "لأنه أخبرهم" فى (١ : ١٠).

كما أن هناك تداخلاً فى المصادر بين "يهوه والوهيم" فمثلاً : من ١ : ١ إلى ٣ : ٣ نجد "يهوه"، فى ٣ : ٤ - ١٠ "الوهيم". وفى ٤ : ١ - ٥ (يهوه)، فى ٤ : ٦ "يهوه الوهيم"، فى ٤ : ٧ - ٩ "ها الوهيم والوهيم"، فى ٤ : ١١، ١٠ "يهوه"... إلى آخره.



التفسير*

تنقسم آراء المفسرين والعلماء حول تفسير هذا السفر إلى ثلاث مدارس تفسيرية رئيسية :

المدرسة المجازية *Allegorical*

وهى تنادى بأن السفر ليس تاريخياً بل رواية تمثيلية. وهذا الرأى يثير الكثير من المشكلات. وربما يقوم على أن اسم يونان يعنى

*بعض المراجع:

*Harrison. Introduction to the Old Testament. PP. 904-918

*Anthony T.Hanson. Jonah & Danial. PP.5-7.

*Thoburn. Old Testament Introduction. PP275-280.

*Eissfeldt. The Old Testament an Introduction. PP.404-406.

*السنن القويم. الجزء الثانى عشر. ص ٧٩-٨٠.

"**يمامة أو حمامة**". والحمامة أو اليمامة كانت ترمز لفترة طويلة إلى الشعب الإسرائيلي (مزمور ٧٤ : ١٩) "**لا تسلم للوحش نفس يمامتك !!**" وفى (هوشع ١١ : ١١) "**يسرعون كعصفور من مصر وكحمامة من أرض آشور فأسكنهم فى بيوتهم يقول الرب**"، ويمثل هذا القول فشل إرسالية إسرائيل فى أن تكون الشعب الحقيقى لله. أما عن هروب يونان إلى ترشيش فيمثل حالة إسرائيل الروحية قبل السبى. ويمثل الحوت بابل التى ابتلعت الشعب الإسرائيلى فى السبى. وعودة يونان من بطن الحوت تمثل إرسالية إسرائيل الثانية إلى الشعوب الوثنية.

والعهد القديم ملئ بهذه الرموز والتشبيهات، وفى (الجامعة ١٢ : ٣ - ٥) يتكلم عن حفظة البيت ورجال القوة والطواحن والنواظر ... إلخ وكل هذه ترمز إلى شيخوخة الإنسان. وفى (حزقيال ٢٤) يشير إلى مدينة الدماء عندما يتكلم عن رؤساء إسرائيل والعظام والماء المغلى. وفى (زكريا ١١ : ٤ - ٦) يشير بالراعى وقطعانه إلى نقض العهد بين الله والناس وكذلك القطيعة بين رجال يهوذا وإسرائيل. ويقوم هذا الرأى فى نظر أصحابه على الأدلة التالية:

- ١- وجود السفر مع الأسفار النبوية وليس مع الأسفار التاريخية.
- ٢- ذكر المعجزات التى تختلف عن المعجزات الموجودة فى الأسفار التاريخية وبالذات قصة الحوت العظيم.
- ٣- التعارض بين ما قيل فى توبة أهل نينوى، وما يعرف عن تاريخ نينوى وخاصة ما جاء فى سفر ناحوم - وناحوم بعد يونان - مثل : "**ويل لمدينة الدماء كلها ملأنة كذباً وخطفاً**" (ناحوم ٣ : ١) "**جرحك عديم الشفاء كل الذين سمعوا خبرك يصفقون بأيديهم عليك**" (ناحوم ٣ : ١٩).
- ٤- التوافق فى قصة الحوت مع ما جاء فى التقاليد القديمة والأساطير عن "Hiawatha" الذى بلعته سمكة كبيرة ثم عاد ثانية إلى الحياة. وعن "Mitthavindaka" الذى تمرد على والدته، ثم سافر بالبحر فتوقفت السفينة فى عرض البحر عن المسير، وأخيراً عرف البحارة أن السبب هو هذا الإنسان فأعادوه إلى الشاطئ ثانية ثم سارت السفينة فى طريقها.

٥- مقارنة ما جاء فى إرميا (٥١ : ٣٤ و ٤٤) "أكلنى أفنانى نبوخدراصر ملك بابل. جعلنى إناء فارغاً. ابتلعنى كتين وملاً جوفه من نعمى طوحنى... وأعاقب بيل فى بابل وأخرج من فمه ما ابتلعه"، بما جاء فى قصة يونان. ويقولون بما أن كلام إرميا واضح أنه تشبيه، إذن قصة يونان تشبيه مماثل.

ونحن فى نهاية هذا الرأى نستطيع أن نقول أن اللغة المجازية تحدثنا عادة عن سلسلة أحداث تاريخية مشروحة، لكننا على العكس من ذلك فى سفر يونان.

المدرسة المثلية Parabolic

وهذه المدرسة تنادى بأن سفر يونان قصة متداولة نظير قصة السامرى الصالح فى العهد الجديد (لوقا ١٠ : ٢٥ - ٣١)، معنى هذا الرأى أن السفر عبارة عن مثل وليس قصة حقيقية. وقالوا أن العهد القديم ملئ بالأمثال، وفى (٢ صموئيل ١٢) نرى القصة التى أخبر بها ناتان النبى داود. وفى (٢ صموئيل ١٤) نرى القصة التى قالتها امرأة تقوع للملك داود لرد ابنه أبشالوم. وفى (قضاة ٩ : ٧ - ٢١) نرى مثل يوثام وشكيم عن الأشجار التى تذهب إلى الزيتون والتينة والكرمة والعوسج، وفى (٢ ملوك ١٤) نرى مثل يواش ملك إسرائيل ... الخ.

لكننا نستطيع أن نقول ان المثل عادة بسيط ومقرون بشرح لما فيه من معان، لكننا على العكس من ذلك نجد سفر يونان أكثر طولاً وتعقيداً بلا شرح أو تفسير.

المدرسة التاريخية Historical

وهى تنادى بأن سفر يونان سفر تاريخى حقيقى. وفكر هذه المدرسة هو الأرجح فى الأوساط الكنسية. وتسير هذه المدرسة فى إثبات رأيها على النحو التالى :

- ١- تاريخية يونان بطل السفر ومركزه (٢ ملوك ١٤ : ٢٥).
- ٢- كلام يسوع إذ قال "لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهو ذا أعظم من يونان ههنا" (متى ١٢ : ٤٠ و ٤١)، (لوقا ١١ : ٢٩ - ٣٠).
- ٣- نبأ الحوت ليس من القصص التى غايتها اندهاش الناس، بل غايته الرمز إلى موت المسيح وقيامته. ومن جهة توبة أهل نينوى فمن المحتمل أنهم تابوا توبة وقتية فقط، لا تذكر إلا فى هذا السفر. ولعل هذا السفر وضع مع الأسفار النبوية لأن فيه ما يرمز إلى أمور آتية كقيامه المسيح وتبشير الأمم بعد ذلك.

التعاليم المستفادة

- ١- ان التعليم الرئيسى فى هذا السفر هو أنه ينبغى أن لا نحد محبة ومراحم الله الواسعة فى دائرة المؤمنين الضيقة. ان الله يريد الكل يخلصون "هكذا أحب الله العالم" (يوحنا ٣ : ١٦) "فإن لى كل الأرض".
- ٢- يجب أن لا نكون ضيقى الأفق إزاء دعوة الله، فى جمود فكر وسطحية نظرة وشطحات عصبية قومية أو قبلية، بل نكون على استعداد للحوار مع الله، والمراجعة وتصحيح المسار، وأن ندعه يشكل أفكارنا من جديد، ويكشف لنا عن أعماق قلبه نحو الآخرين.
- ٣- أن طريقة الله فى إظهار خطته لخلاص الأمم، هى إخضاع وتدريب شعبه ليكونوا أكفاء لحمل كلمة الحياة إلى العالم. وذلك ما حدث مع الشعب القديم فى السبى، ومثل ما حدث مع يونان فى

بطن الحوت، ومثل ما حدث أيضاً مع السيد الذى أطاع حتى الموت موت الصليب.

٤- إن راحتنا وسلامنا ومجدنا العالمى ونفوذ كلمتنا، كل هذه لا شئ أمام توصيل أخبار محبة ورحمة الله للعالم، والمشاركة فى امتداد ملكوت الله "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره".

٥- يذكرنا يونان برسالة المسيح الذى أزال الحواجز التى كان من المتعذر تخطيها. وحطم حائط السياج القائم بين اليهود والأمم عن طريق الإيمان بالمسيح الذى يهب الروح الواحد للجميع. وخلق من الاثنين "إنساناً جديداً" صانعاً سلاماً.

هذا هو عمل المسيح الذى وحد النقيضين المتطاحنين فى جسد واحد بواسطة الصليب، "وقتل العداوة" بينهما التى تتجسد فى العوائق النفسية الرهيبة المترسبة عبر التاريخ فى سبيل المجتمع الجديد الواحد فى الرب يسوع، مجتمع المحبة المسيحية. إن المسيحية بروحها وبرسالتها، روح المحبة والشركة، ورسالة المصالحة مع الله والناس، تستطيع أن تحل مشاكل التطاحن والعداء والحروب بين الشعوب والعناصر والطبقات والأفراد، لو أن البشر قبلوا رسالتها حقاً وعاشوا فكرها وروحها كأسلوب حياة.

إنها دعوة لاتساع المحبة لتشمل الأفراد والعلاقات الدولية فى نفس الوقت، فى عالم يتسم بالتمييز العنصرى، ورفض الآخر، ويدعو إلى صراع الحضارات والثقافات، ويحبذ العنف، ويمجد القوة. لكن رسالة السفر تذكرنا بأن نرى الآخرين من منظور محبة ورحمة الله، وبالتالي نسعى للسلام والعدالة والمساواة والمحبة للجميع.

